المحاضرة الأولى: مفهوم البحث وخصائصه

- تعريف البحث والبحث العلمي: (Research):

البَحث لَفظ مُؤلَّف من مَقطعين:*Re*و*Search*، تُعرِّف القواميس المقطع الأول(*RE*) بـ: ثانية، مرَّة أُخرى، مُجَددا. والمقطع الثاني(*Search*)بـ: الفحص، التحقيق بدقة، والاختبار بالمحاولة. وبِجمع هَذين المقطعين يُقْصد بلفظ البحث: الوصف بعناية وبنظام، والدراسة السببية في حقل من حقول المعرفة للكشف(تأسيس) عن الحقائق والمبادئ(**Ranjit Kumar, 2005, p7**).

يَعني البحث التوفيق بين القُدرات الخَاصّة والنشاط الذّاتي المبدع الخلاّق، وبين المعلومات المُقمشة أو المستفادة، بأسلوب مُؤثر، مُبتكر، واضح، بسيط، ودقيق، يُبتعد عن الغموض، والحَشو، والإطناب، والاسْتطراد، وزَخارف اللّفظ، ويحسن الربط بين الأفكار (مهدي فضل الله، 1998، ص12) عن طريق التحليل المنطقي، والبرهان العقلي، والترابط العلمي، بحيث يَشدّ انتباه القَارئ، ويَجذبه جذبا للاطلاع عليه ومتابعته منذ البداية حَتّى النهاية **(مهدي فضل الله، 1998، ص13)**.

والبحث هو الجَهد الذي يبذله الباحث تفتيشاً وتنقيباً وتحقيقاً وتحليلاً ونقداً ومقارنةً في موضوع ما، من أجل اكتشاف الحقيقة أو الوصول إليها، وليس للبرهنة على شيء ما أو إثبات أمر ما أو تأييد أمر ما يتفق ورؤيته وميله**(مهدي فضل الله، 1998، ص12)**. وحتى يَسْتحق "التقرير" اسم **"البحث"** لابد وأن يُساهم في نتائجه وخواتيمه في نُمو المعرفة وتطويرها وزيادة الاقتراب من الحقيقة، لأنَّ البحث في نهاية المطاف ليس معناه عرض الحقائق المعروفة، وإنّما هو اكتشاف الحقائق المجهولة بمعنى أنّهُ كلّ إضَافة إلى العلم والمعرفة **(مهدي فضل الله، 1998، ص13)**.

ويُعرِّفه (*burns, 1942*)بأنّه: التحقيق المُنَّظم لإيجاد إجابات لمشكلة ما. ووفقا لـ (*kerlinger, 1986*) : فإنَّ البحث العلمي هو: التنظيم والتجريب المضبوط والفحص النَّقدي للقَضايا (الافتراضات) لِتخمين أو تقدير العلاقات لمختلف الظواهر(**Ranjit Kumar, 2005, p7**).والبحث في تعريفه المُبَسَّط هو إحدى الطرق لإيجاد إجابات لأسئلتك. ومن ثمّ فإنّه:

- يَجْرِي في إطار مجموعة من الفلسفات التي تَنْبع من عدة مداخل ونماذج(الوضعية على سبيل المثال).

- يَسْتَخْدِم إجراءات ومناهج وتقنيات لاختبار الصِّدق والثبات. إنّ مفهوم الصِّدق يمكن تَطبيقهُ في أيّ جانب من عمليات (خطوات) البحث، إنّه يَضْمن للدّراسة البحثية بأن تُؤدِّي الإجراءات الصَّحيحة التي تَم تطبيقها إلى إيجاد إجابات للأسئلة المطروحة. أمّا الثبات فيشير إلى: نوعية القياس الإجرائي الّذي يُوفِّرُ عُنصري التِّكرار والدِّقة***(Ranjit Kumar, 2005, p6)***.

- البحث مُصَمَّم لِيكون هادف (موضوعي) وغير مُتَحيِّز. ويُقصد بذلك أنّه عندما تَقوم بأية خطوة في البحث يجب أن تكون غير مُتحيز وتَحْصل على النتائج بأفضل قُدرة لك، ودون إدخال اهتمامك المكتسب والخاص. إنّ الموضوعية هي جزء مُكَمِّل من طَريقَتك في التفكير والمُحدَّدة بِخلفيتك التربوية، وبالضوابط، والفلسفة، والتجربة والمهارات. **أمّا التحيز فهو:** المحاولة المتعمدة لإخفاء أو تسليط الضوء على شيء مُعين. إنّ الالتزام بالمعايير الثلاثة المشار إليها أعلاه يُمْكن أن يُكَوِّنُ ما يُسَّمى بالبحث. وعلاوة على ذلك، عندما تَقُول بأنك تقوم ببحث من أجل إيجاد إجابة لسؤالما ، فهذا يعني أنّ المناهج التي تَتَبَّناها تَفي بتلك التوقعات.(***Ranjit Kumar, 2005, p6***).

- مُفهوم الصِّدق والثَّبات في البَحث العلمي:

أ- مُفْهُوم الثبات:

لِنَتَصَور أنّ رب أسرة يَعْمُد في أوّل كانون الثاني من كل عام إلى قياس أطوال أطفاله باستخدام مقياسالمتر(مصنوع من النسيج) ويَضع علامة صغيرة على الحائط، فعند قيام الأم بالعملية ذاتها مستخدمة في ذلك مقياس المتر ذاته الذي استخدمه الأب وحصلت لكل طفل على العدد نفسه من السنتيمترات التي كان قد حصل عليها الأب، في مثل هذه الحالة نقول أنّ القياس ثابت، إنَّ الأداة (المتر) التي تم تطبيقها على الأطفال موضوع الملاحظة ومن خلال مُلاحِظون مُختلِفُون تُعطي الرّقم نفسه، إذن هنا مُعامل الثبات بين مقياس القامة والمتر سيكون مرتفعا جدا. ولنسلّم بأنَّ روح المنافسة بين الأطفال جادَّة تَدفع أحد الأطفال إلى الوقوف على رؤوس الأصابع أو بشكل لاشعوري إلى أن يَتنفس بعمق حينما تقيسه أمُّه. إنَّ المُلاحِظُ سَيزوّر النتيجة التي لن تصبح صحيحة، لأنَّها ليست مُطابِقة للنتيجة السَّابقة. ولِنَتَصَوّر الأب الذي نَسي نظَّارته يرى الأرقام بشكل سيء ويسجل 7 بدلا من 5. إن المُلاحِظ في مثل هذه الحالة سيكون السبب في عدم ثبات الملاحظة. فخطأ الأب عشوائي؛ إنه يُدَوِّن أحيانا رقما أعلى وأحيانا أخرى رقما أدنى. في حين أن الخطأ في حالة الطفل الذي يَرْتفع عندما تقيسه أمُّه هو دائما في الاتجاه نفسه وهو يُكَوِّنُ ما نسمِّيه انحرافا (Bias) ". إنَّ الثَّبات يَكْمُن إذاً في تطابق المُلاحظات التي أجراها بمساعدة الأدوات نفسها مُلاحِظُون مُختلفون، على الموضوعات ذاتها". بناءا على ما سبق يُشَكِّلُ الثبات نوعا من الضَّمان لِدقَّة النَّتائج**(مادلين غر افيتس، 1993، ص33).**

ب- مُفهوم الصدق:

تَخَيَّل الآن المتر وقد استعمله الأب أو الأم أو الأخ الأكبر أو الجدة فَإنّهُ يُعطي النتائج نفسها بغض النَّظر عن الشخص الذي اسْتعْملهُ، ولكن هذا المتر (الأداة) مُسْتَهْلَك قليلاً وكانتا السنتيمترات الأولان منه غير موجودتين، ففي مثل هذه الحالة يَقيس جيدا السنتيمترات ويبدو ظاهريا صادِقا ولكن النتائج ليست دقيقة، فحسب المثال السابق فإنَّ قياسات الأطفال جميعا تزيد بمقدار (2سم) على الواقع الحقيقي. إذن الأداة وهي المتر ليست صادقة. لنفترض في الأخير أنّ الجدّة التي تختلط عليها الأشياء بعض الشيء تريد استخدام ميزان لقياس قامات الأطفال، فالأداة وهي الميزان دقيق بالنسبة لقياس الأوزان وهو صادق بلا شك، ولكنّه ليس ملائما لمعطى القامة الذي نريد جمعه والحصول عليه، إنّه ليس صادقا. وعليه يتحدّد مفهوم الصّدق عادة تبعا لاتجاهين متكاملين**(مادلين غر افيتس، 1993، ص33).**

منطقيا: تكون أداة ما صادقة إذا كانت تقيس بدقة ما تَهْدِفُ لقياسهِ، وهذا يتطلب تعريفا للصّفة الخاضعة للقياس، فقياس موقف فاشي أو استعداد للتذكر يتطلب تعريفا للفاشية والذاكرة.

وخبريا: تكون أداة ما صادقة ما دامت تُتيح التنبؤ بدقة، وذلك تِبَعا للنتيجة أو "مجموع النقاط" التي حَصل عليها الموضوع بخصوص الصِّفة المَقصودة بما سَيكون عليه سلوكه اللاّحق في موقف تعمل فيه الصِّفة ذاتها**(مادلين غر افيتس، 1993، ص34).**

يتطلب الثبات دوام صفة الأداة وانتظام استعمالها وهي تبحث عن مؤشر موافق أمل بالحقيقة في تشابه النتائج التي توصل إليها أشخاص مختلفون.؛ أمّا الصّدق فيتطلب دقة النتيجة بالقياس إلى الهدف المنشود والتطابق مع الواقع المختار**(مادلين غر افيتس، 1993، ص34).**

"إنَّ تقنية صَادقة لها كُل الحُظوظ في أن تكون ثابتة، إذا أُعِيدت العملية نفسها، في حين أنَّ تقنية ثابتة يُمكن أن تكُون غير صادقة" (مادلين غر افيتس، 1993، ص34).